العودة»، دون إبداء التعرض بسوء لوجود دولة اسرائيل، بالرغم من ان الجبهة كانت إحدى القوى المتأثرة في نشأتها وفكرها بالتيار القومي العربي ـ الناصري أساساً ـ صاحب المواقف الجذرية من الوجود الاسرائيلي في تلك المرحلة. وهنا يبدو الحرص على مراعاة القيود القانونية في ممارسات فعاليات الحركة السياسية للعرب في اسرائيل، كما يظهر هذا الحرص، أيضاً، من أن «جماعة الارض»، التي خرجت من رحم «الجبهة الشعبية» في العام ١٩٥٩، حينما قررت إصدار مطبوعة، على شكل نشرة، التزمت بأمرين: الاول، هو أن يُصدر تلك النشرة في كل مرة، أحد أعضاء الجماعة؛ والثاني، هو تغيير اسم النشرة، في كل مرة، مع الاحتفاظ بكلمة «الارض» للدلالة على وحدة المصدر، مثل «شذى الأرض»، و«نـداء الارض»، و«هـذه الارض» وهكـذا. حدث هذا على اعتبار أن القانون الاسرائيلي لا يسمح بإصدار صحيفة دون رخصة مسبقة، لكنه يسمح بإصدار نشرة لمرة واحدة فقط[٢٢].

وإذا كانت السلطات نجحت، قبل أفول عقد الخمسينات، في الاطاحة بالجبهة الشعبية وجماعة الارض على التوالي، فإن التجربتين لم تمرا دون عوائد على العرب في اسرائيل؛ فقد أسهمتا، مع عوامل أخرى، في إدراك السلطات لضرورة تخفيف قيودها لامتصاص نقمة الاقلية العربية. وكان ذلك بداية عملية طويلة، أدت الى الغاء الحكم العسكري في العام ١٩٦٦. ومن ناحيتها، وعت القوى العربية الفاعلة الدرس، مما أغنى فكرها وخبرتها السياسية. ويمكن إعتبار الاهداف التي أعلنت عنها «حركة الارض» في العام ١٩٦٤، بمثابة نقلة نوعية في الفكر السياسي للعرب في اسرائيل ونتاج لتلك الخبرة. لقد بلورت الحركة فكراً سياسياً تجاوز في مضمونه أوضاع العرب في اسرائيل ومطالبهم داخل الكيان الصهيوني، نحو أفق القضية الفلسطينية والقضية العربية، وربط بين الجانبين بشكل بالغ الوضوح. فلم تتحدث الحركة، فقط، عن «حق اللاجئين في العودة»، كما كان شأن الجبهة الشعبية في نهاية عقد الخمسينات، وإنما تطرّقت، أيضاً، كما جاء في عقد تأسيسها، وعلى لسان قيادتها، الى «ضرورة إقامة دولة عربية فلسطينية، فالعرب في اسرائيل ليسوا أمة، لكنهم قطعاً، ودون جدل، جزء من أمة كبيرة... إن عرب هذه البلد كانوا وسيبقون، دائماً، جزءاً من الشعب العربي الفلسطيني، الذي يشكّل جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي. ولكن حقهم في إقامة دولة عربية فلسطينية سلب منهم بالقوة». ضمنت الحركة هذه الافكار، جنباً الى جنب، مع هدف «نيل حقوق المواطن العربي في اسرائيل ومساواته، والنضال ضد التمييز والحكم العسكري وسلب الاراضي وهدم البيوت، دون تجني على حق الغير في العيش بسلام». وتعتبر الافكار، التي صيغت بناء عليها هذه الاهداف، مختلفة بمقاييس منتصف عقد الستينات، سواء بالنسبة للفكر السياسي القومي العربي، أو بالنسبة لفكر الحركة السياسية الفلسطينية. فلم يكن جائزاً، في تلك الفترة، عربياً أو فلسطينياً، الحديث عن شرعية للدولة الصهيونية، حتى ولو في مقابل شرعية لدولة فلسطينية. أكثر من هذا، أن حركة الارض أثارت إمكانية «ان تعيش اسرائيل في سلام، كجزء عضوي في الشرق الاوسط، وكعضو في إتحاد فدرالي بينها وبين الشعوب العربية المتحدة، إذا أقيمت دولة فلسطين، ومرت فترة كافية، تبرهن خلالها، انها تخلت عن أطماعها التـوسّعيـة»[٢٣]. ولأننا نعلم، الآن، ان الفكر السياسي الفلسطيني، عموماً، لم يطرح فكرة الدولة الفلسطينية المستقلة على جزء من فلسطين التاريخية. الاّ في منتصف عقد السبعينات، الامر الذي تمّ عبر مخاض مؤلم، ونعلم ان الحديث عن شرعية لدولة اسرائيل لم يطرح الا في نهاية عقد الثمانينات، كما ان الجانب الخاص بصورة الشرق الاوسط والمنطقة العربية لم يكن ضمن الهموم الملحة على